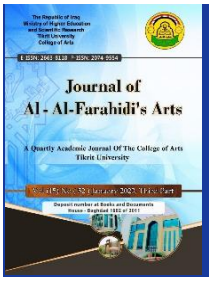

Tikrit University | جامعة تكريت

مجلة آداب الفراهيدي

Journal of Al-Farahidi's Arts

The Cognitive Foundations of The Theory of Ethics in Spinoza's Philosophy - A Reading of The Method

Prof. Dr. Ziyad Kamal Mustafa

Department of Philosophy, College of Arts, University of Mosul
Nineveh, Iraq

الأســـس المعرفية لنظرية الأخلاق في فلسفة سبينوزا - قراءة في المنهج

أ. د. زياد كمال مصطفى

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الموصل
نينوى، العراق

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
22/08/2023	23/08/2023	30/08/2023

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 8118-2663 https://doi.org/10.25130/jaa.15.54.3.18 Vol (15) No (54) June (2023) P (260-271)

ABSTRACT

The nature of Spinoza's approach is noticed by a balanced presence in various aspects of his rational philosophy. His message culminated in the reformation of the mind with a grand project in the modern era. His project invoked a strong conviction in two fundamental principles, the first one that all contemplations of metaphysical philosophy and any ideas that the human mind can conceive ontologically have no ultimate purpose other than guiding humans in their lives toward a noble goal, which is happiness. the second one, there must be a fundamental change in the traditional philosophical view of ethics by rejecting the distinction between the realm of pure theoretical knowledge (metaphysics) and the realm of practical knowledge (ethics). Thus, despite the principle of nature applying to humans, the philosopher sought, through practical moral character, to achieve mastery over will, emotions, and passions. Through the realm of ethical freedom, the wise person can transition from fields of knowledge to general principles of virtue. Spinoza reaffirms that our practical lives are based on our mental lives.

KEYWORDS

Spinoza's Philosophy, Cognitive Foundations, Moral Theory, Human, Knowledge, Life

الملخص

يلاحظ على طبيعة منهج سبينوزا حضورا متوازناً في جوانب متنوعة من فلسفته العقلانية، لقد توجت رسالته في اصلاح العقل بمشروع كبير في الحقبة الحديثة استحضرت لمشروعه قناعة كبيرة في مبدأين أساسيين، الأول: أن كل تأملات الفلسفة الميتافيزيقية وكل ما يمكن أن يضعه العقل البشري من أفكار انطولوجية ليس له غاية نهائية سوى توجيه الإنسان في حياته من أجل هدف سامي لهذه الحياة الانسانية، هو السعادة. والثاني: أنه لا بد من احداث تغيير أساسي في النظرة الفلسفية التقليدية إلى مجال الأخلاق، وذلك برفض التفرقة بين مجال المعرفة النظرية الخالصة (وهو الميتافيزيقا)، ومجال المعرفة العملية (وهو الأخلاق). من هنا، وعلى الرغم من مبدأ الطبيعة الذي ينطبق على الإنسان، سعى الفيلسوف عبر الطابع العملي الأخلاقي للعلم أن يحقق السيادة المنشودة للإرادة على الانفعالات والعواطف، كما سعى عبر مملكة الحرية الانتقال بالإنسان الحكيم من ميادين المعرفة إلى مبادئ عامة في الفضيلة، ليؤكد لنا سبينوزا من جديد أن حياتنا العملية قائمة على حياتنا العقلية.

الكلمات المفتاحية

فلسفة سبينوزا، الأسس المعرفية، نظرية الأخلاق، الإنسان، المعرفة، الحياة

Copyright and License: *This is an Open-Access Article distributed under **A Creative Commons Attribution 4.0 License**, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.*

المقدمة:

تعّد مقالة سبينوزا رسالة في إصلاح العقل التي شرع في تأليفها عام (١٦٦٣) مقدمة "الأخلاق" التي توضح لنا الأهداف التي تصدى لها سبينوزا في فلسفته، ذلك أن الفيلسوف لم يدرج في مقدمة كتابه الأخلاق ما يوضح المشروع الفلسفي الذي سيقوم به. فالثابت، أن كتاب الأخلاق (١٦٧٧) إنما هو تحقيق للمشروع الذي خططه سبينوزا في الرسالة، من هنا فإنه لا ينبغي لغايات هذه الرسالة المنهجية والمعرفية أن تخفي عن مقاصدها الأخلاقية.

دليل هذا التضايف الفلسفي والاستكمال المنهجي ما بين رسالة الإصلاح وكتاب الأخلاق، هو ما تضمنه الكتاب الأخير من أقسام ثلاث جاءت على النحو الآتي:

١. عن الإله "وفيه يضع سبينوزا نظريته الانطولوجية".
٢. حول الإنسان "ويتضمن نظريته في المعرفة"
٣. حول الأخلاق.

من هنا عُرف عن الجانب العملي في فلسفة سبينوزا تجاوزا لتلك التفرقة بين الواقع والواجب، بين العلم النظري والبصيرة العملية، بين الأخلاق والعلم، وفق مبدأ عام مفاده "ان العلم ذاته له طابع عملي أخلاقي". وهكذا نجد أنفسنا بصدد أسئلة عدّة ولدّها هذا الاقتران والتناغم Harmony، سنحاول هنا في بحثنا الاجابة عنها، وهي من قبيل:

١. هل يعد مفهوم الأخلاق عند سبينوزا عنصراً أو جزءاً من فلسفته، أم أن فلسفته كلها أخلاقية في مبادئها وأسسها؟
٢. هل المعرفة هي الأساس للأخلاق، أم أن الأخلاق هي التي تؤسس للعقل ولباقي جوانب فلسفته في اللاهوت والسياسة وغيرها.
٣. هل يمكن أن نسمي الفلسفة السبينوزية بأنها فلسفة مناضلة Militant philosophy؟ على اعتبار أنها فلسفة تسعى للإسهام في اعطاء السلام لكل الناس فضلا عن الأمان والحرية، وفق شعار جديد يرمي إلى أن تكون (السعادة Happiness) أعدل الأشياء قسمة بين الناس.
٤. هل سينجح سبينوزا بمجهوده العقلاني الباحث عن الحكمة الفاضلة Virtuous wisdom في أن يبلغ العدد الأكبر من الناس: "الوصول إلى الحرية والغبطة Freedom and elation "؟

هذه الأسئلة وغيرها هي التي ستعزز من مخرجاتها سبيلاً مقنعاً لمشهد في المعرفة العقلانية تؤسس بشكل ذاتي نمطاً توافقياً للفلسفة العملية.

المحور الأول: الإنسان مملكة الحرية أم عواطف و انفعالات:

يقول سبينوزا في الصفحات الأخيرة من مؤلفه إصلاح العقل: **"لن أنظر هنا في ضروب التفكير كالحب والفرح وما إليهما لأنها لا تفيد في تقدم مشروعنا الحالي، ولا يمكن تصورها إلا بعد أن يتم إدراك العقل. فعلا فلو زال الادراك زالت ضروب التفكير تلك"** [١]. وما يمكن ملاحظته من هذا النص إن الأخلاق مثلا بوصفها النظري كضرب من ضروب السلوك إنما ترتكز على الجانب العقلي.

من هذا المنطلق عدّ سبينوزا الأفعال الصادرة عن الإنسان بمقتضى العقل هي أفعال حرة، والإنسان الحر هو ما كانت أفعاله نابعة عن العقل. لكن بما أن النفس ليست لديها أفكار تامة كالعقل، فإنها تجعل الإنسان يتصرف وفقاً لدوافعه الداخلية والخارجية بدلا من التصرف على أساس العقل [٢]. فهل يعني ذلك ان الفيلسوف يؤمن بنوع من الجبرية الخلقية ؟، بما أنه أشار إلى وجود بواعث عقلية خلقية تدفعنا إلى العمل [٣].

الحقيقة إن ما ابتغاه سبينوزا في مشروعه المشترك هو التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره لكي يجيد معرفة الأشياء [٤]. ويبدو أن أول ما ابتدئ به هو التأكيد على عدم وجود ما يسمى بقوى النفس، كذلك عدم تمييزه بين نفس وقوى، ومن ثم لا تمييز بين ارادة وعقل، ولكن الإرادة ترجع إلى العقل من حيث أن كل فكرة

تتضمن ايجاباً، أي إن الارادة ميل العقل إلى قبول ما يروقه من المعاني واستبعاد ما لا يروقه [٥]. وعليه إذا ما حصل الإنسان على الحرية فإنه لا يهتدي في أفعاله بالأفكار المضطربة التي تعبر عن خليط من ذاته والأحوال الأخرى بل بالأفكار الوافية التي تمثل ماهيته الخالصة التي هي جزء من الله. وحينئذٍ لا يفعل الإنسان إلا بوحي من عقله وتصبح مشاعره عواطف فعالة لا منفعلة. وتكون العاطفة فعالة حين تنشأ من فكرة ترجع إلى ذاتنا لا إلى أشياء خارجية، وتكون منفعلة حين تنشأ من فكرة لا تعود إلى ذاتنا بل إلى أشياء خارجية [٦].

لكن مشروع سبينوزا الأخلاقي على حد تعبير جلال الدين سعيد لا يتمثل في تعويض حياة الوجدان والعاطفة بالحياة العقلية، بل في إدراك حقيقة العواطف والانفعالات وفهمها فهماً صحيحاً. فإذا فهمنا انه من المحال ألا يكون الإنسان جزءاً من الطبيعة، فهمنا في الوقت ذاته انه من المحال ألا يملك انفعالات وعواطف [٧]. وهذا يدل على أن طبيعة معالجة سبينوزا للانفعالات ترسخت لديه على أنها ظواهر طبيعية خالصة لا تتعلق بمجال الإنسان وحده، فالإنسان وانفعالاته جزء لا يتجزأ من الطبيعة، تسري عليه نفس القوانين التي تسري عليها [٨]. لذا كان الشيء الحري بالطلب في نظر سبينوزا هو (السلام الروحي)، السلام الداخلي المتزن المشوب بالغبطة. إن ما يمكن أن يُنال به ليس هو الطب، وليس هو تنظيم العواطف بالإرادة الحرة، بل التركيز الثاقب على أن الادراك والارادة ليسا شيئين مختلفين، بل إنهما شيء واحد يعبر عنه باسمين مختلفين [٩].

المعرفة إذن، وفق لما تقدم متميزة عن الوعي "لكونها اثبات فكرة لذاتها"، وهي بذلك ستصبح متميزة عن الوعي أولا بوصفها انعكاساً للفكرة ذاتها، ثم عن الانفعالات والأحاسيس ثانياً بوصفها ما يحكم الرغبة أو "الكوناتوس" [١٠] وهذا هو السبب الذي يجعل سبينوزا يحدد المفهوم الأخير Conatus باعتباره رغبة صارت وعياً، والعلة في هذا الوعي هو الإنفعال [١١]. لذلك كان علينا أن نحارب العواطف الهوجاء التي لا تقوم على العقل بالعواطف التي يسندها العقل، وبذلك يتعاون العقل والعواطف على الوصول إلى الهدف المطلوب [١٢]. مع التذكير بأن حل مشكلة التغلب على الانفعالات عند سبينوزا لم يأتي به الفيلسوف عن طريق محاولة التخلص من هذه الانفعالات بطريق مباشر، وإنما عن طريق معرفتها والتفكير العقلي فيها وربطها بالسياق العام لظروف الإنسان الخارجية والباطنة [١٣].

نلخص من ذلك ان نقطة البداية الأساسية لنظرية سبينوزا الأخلاقية هي الإدراك العلمي للارتباط بين الإنسان وبين الطبيعة بوجه عام، ومن ثم تأكيد سيادة فكرة الضرورة في مجال الإنسان بدوره [١٤]. لأن التعمق في فهم قوانين الطبيعة برأي الفيلسوف يجعل الإنسان أكثر قدرة على فهم سلوك الإنسان ذلك إن مجال الأخلاق هو المحور الذي تتلاقى فيه اشعاعات المعرفة البشرية في سائر فروعها، ويُطبق فيه العلم الإنساني بكل ما حققه من نتائج [١٥]. ليكون السر الذي يقف وراء تفنيد سبينوزا لفكرة الحرية الإنسانية، أو امتلاك الإنسان للمشيئة أو الارادة هو اعتقاده بأن الإنسان على صلة مستمرة بعوامل لا متناهية في العالم المحيط به، ومن المحال أن يسلك على أي نحو دون أن يأخذ هذه العوامل بعين الاعتبار [١٦].

فليس الإنسان مملكة داخل مملكة، والشعور بالحرية خطأ، وانما يعتقد الناس أنهم أحرارا لأنهم يجهلون العلل التي تدفعهم إلى أفعالهم كما يظن الطفل الخائف في انه حر في أن يهرب، ولو كان الحجر يفكر لاعتقد انه إنما يسقط إلى الأرض بإرادة حرة [١٧]، "ولو كان الناس يولدون أحراراً، لما كوّنوا أي مفهوم عن الخير والشر طالما بقوا أحراراً" [١٨].

إن "الطبيعة الإنسانية واحدة وهي دائماً عينها"، فالإنسان ليس جزءاً من الطبيعة ولا هو امبراطورية داخل امبراطورية، ولكن إلى جانب ذلك فإن للطبيعة الإنسانية بالذات قوانين ثابتة، لا يمكن لهذا الثبات أن يُزاح لأول وهلة من خلال تنوع المناسبات والحقب والطبقات الاجتماعية، لكن تحليل السلوك الإنساني غالباً ما يكتشف هذا الثبات في نهاية الأمر [١٩]. ذلك أن الحرية الحقة بنظر سبينوزا هي سيطرة العقل وفاعليته، وهي التخلص من أغلال العواطف العمياء التي لا تسترشد بهدف العقل، ولن يكون الإنسان حراً إلا بقدر ما هو عالم

عاقل [٢٠]. وأن الاتفاق يحدث للبشر بطبعهم دائماً وبالضرورة، "شريطة أن يكون عيشهم على مقتضى العقل"[٢١] فمثلاً "إن من تعّود الخشية ويفعل الخير تحاشياً للشر لا يكون سلوكه على مقتضى العقل" [٢٢].

بمعنى أن سبينوزا يضيف على التمييز الفلسفي القديم بين العقل والعاطفة سقراط والرواقيون ناحية هامة، فالعاطفة تكون عمياء إذا تجردت عن العقل، وإن العقل يكون ميتاً إذا تجّرد عن العاطفة، وأن العاطفة لا تُكبح أو تكتسب إلا بعاطفة معاكسة لها أقوى منها [٢٣]. من هنا كانت منزلة الحكيم بنظر سبينوزا تتلخص بتفوقه على الجاهل في قدرته وحرية نفسه بعدم الانقياد لشهواته [٢٤]، وهنا يضاف لدينا دليل آخر على مدى مرجعية الأخلاق وتعّلق الحياة العملية بالجانب الفكري العقلي أو المعرفي، فسبينوزا ينظر إلى الانفعالات على أنها هي الأساس في الشقاق بين الناس، في حين ينظر إلى العقل بكونه أساس التقريب بينهم.

إذن الحياة لا تكون موافقة للعقل إلا إذا "إنبنت على المعرفة والفهم، ولا تكون الأشياء حسنة إلا بقدر ما تساعد الإنسان على أن ينعم بحياة النفس التي تتحدد بالمعرفة والفهم" [٢٥]. لكن في الإنسان أشياء أقوى من الحقيقة، والفضيلة لا يمكن أن تُحال إلى العلم ... ذلك أن سلطة الأهواء (الانفعالات) لا تعد مجرد عمى. لذا لا يمكن مثلاً أن تكون "العقيدة" خلاصاً للمعرفة، لأن الأمر في نظر سبينوزا يتعلق بقوة المعرفة ولا يتعلق بمجرد حضورها فقط. ولذلك لا يكفي ظهور العقل حتى يخلص الإنسان من العبودية [٢٦]. فلكي يكون الإنسان كاملاً في نظر سبينوزا، لا ينبغي أن يتحرر من قيود المجتمع ونظامه، بل التحرر من فردية الغرائز وتحكّمها، ففي ذلك وحده يتحقق سمو الإنسان كما انه يكمل بذلك الإنسان الحكيم [٢٧] الذي هو الأكثر ألفة وهدوءاً واتزاناً عقلياً.

والنتيجة "**كلما اهتدينا بالعقل، اخترنا من بين خيرين اثنين أعظمهما، ومن بين شرين اثنين أهونهما**" [٢٨]. ما دام ليس من انفعال من انفعالات الجسم إلا ونستطيع أن نكّون عنه مفهوماً (Concept) واضحاً مميزاً [٢٩]. "**ومن كان يعرف ذاته و انفعالاته بوضوح وتميّز كان يحب "الله"، ويزداد حبه بقدر ما تزداد معرفته لذاته و انفعالاته**" [٣٠] ولا بد من أن يحتل حب الله هذا مكان الصدارة في النفس.

المحور الثاني: الحياة العقلية والحياة العملية:

لاحظنا في أنماط المعرفة Types of Knowledge عند سبينوزا إن المعرفة ليست فعلاً للذات، ولكنها اثبات لفكرة الروح، "**فلسنا نحن من يثبت أو ينفي أي شيء عن أي شيء ولكن الأشياء هي التي تنفي أو تثبت شيئاً عن ذاتها فينا**" [٣١]. ذلك أن تقسيم المراتب المعرفية الى ثلاث انما تقوم على تدرجها بين البطلان والحقيقة. والنتيجة ان أنواع المعرفة هي أحوال للوجود، لأن فعل المعرفة يمتد في أشكال الوعي والانفعالات الأحاسيس التي تقابله بشكل يجعل كل قابلية للانفعال متحققة بالضرورة [٣٢]. والسؤال هنا، إذا كانت المعرفة متدرجة من (السببية Causation) في المرحلة الاولى، إلى (العقلية الاستدلالية Rational Inference) في المرحلة الثانية، ثم إلى (العقلية الحدسية Rational Intuition) في مرحلتها الأخيرة، فعلى أي الأسس أقام سبينوزا الحياة العملية على الحياة العقلية؟

لقد وصف سبينوزا النوع الأول من المعرفة أن النفس تكون في هذه المرحلة في حالة انفعال Emotion، عاجزة عن إدراك طبيعتها وطبيعة الأشياء الخارجية، لكونها مقهورة بتأثيرات وعلل خارجية مناقضة لطبيعته [٣٣]. لكن النفس في هذه المرحلة تتصور ذاتها شخصاً قائما بنفسه، والأشياء المحيطة بنا خيرات أو شرور في أنفسها، بمعنى أننا في هذه المرحلة نطلب الأشياء ونهرب منها لمحض الاشتهاء والكراهية لا لحكمنا بأنها خير وشر، بل اننا ندعو الشيء خيراً أو شراً بسبب طلبنا اياه أو كراهيتنا له. فلا حياة خُلقية في هذا الضرب من المعرفة، وانما كل ما هنالك عبودية للشهوات [٣٤]. وبذلك تكون المعرفة في النمط الأول معرفة لم يتحقق العقل من صدقها، رغم اننا لم نعثر على ظواهر أو وقائع تعارضها. وتكاد تكون معرفتنا العلمية كلها من هذا النوع. لكن لا يمكننا اعتبار هذا النوع من المعرفة معرفة علمية بالمعنى الدقيق لأن المعرفة العلمية الحقة تعنى باكتشاف ماهيات الأشياء ويمكن أن نطلق عليها اسم الظن Opinion [٣٥].

في معرفة الضرب الثاني نعلم ان الطبيعة خاضعة لقوانين كلية Total Laws، وإننا جزء من هذه الطبيعة، فنهتدي بأفكارنا المطابقة ونصير فاعلين Active بعد أن كنا منفعلين Excited، ذلك اننا حالما ندرك بالعقل أن أفراحنا وأحزاننا نتائج القوانين الطبيعية، نكّف عن محبة الأشياء وبغضها وعن استشعار الحزن والخوف والرجاء واليأس والغضب والحرية، فلا نطلب شيئاً إلا لاتصاله بميلنا الأساس الذي هو حب البقاء Survival Love [٣٦]. فهي معرفة نحصل عليها من استنتاج ماهية شيء من آخر دون أن ندرك النحو الذي تحدث فيه هذه النتيجة، وهذا النوع من المعرفة ليس كافياً للوصول إلى الكمال الذي ننشده ... لأن الأشياء التي نعرفها عن طريق الاستدلال تفتقر إلى الوحدة الضرورية، خاصةً وان هذه المعرفة تطبق قاعدة كلية على حالة جزئية [٣٧].

وبهذا المعنى، فإن هذا النوع من المعرفة لا تمكننا من معرفة الماهيات The Essences، وما سيكون عليه أن يُعّرفنا بهذه الماهيات هو النوع الثالث، والذي معه لا تظل الصفات مُدركة كمعاني مشتركة، أي عامة، يمكن ان تنطبق على كل الأحوال الموجودة، ولكن ستصير صوراً مشتركة (أي متواطئة) للجوهر الذي يشّكل ماهيتها ولماهيات الأحوال التي هي محتواة فيها بوصفها ماهيات فردية [٣٨]. مع أن "**الجهد أو الرغبة في معرفة الأشياء بواسطة النوع الثالث من المعرفة لا يمكن أن ينشأ عن النوع الأول من المعرفة، بل عن النوع الثاني**" [٣٩].

في المعرفة التي من الضرب الثالث ندرك ذاتنا، ليس فقط كجزء من الطبيعة، مما يدع مجالاً لضرب من التميز والتضاد بين الإنسان والطبيعة، بل ندرك ذاتنا صادرة عن طبيعة "الله" أي في هذه المرحلة نرد السرور الذي يملأ نفسنا إلى "الله" على الحقيقة ومبدأ القوانين السرمدية. هذا السرور مصحوباً بفكرة "الله" هو محبة "الله" وهي خالصة لا يقابلها محبة من جانب "الله"، لأن "الله" بريء من الانفعال [٤٠]. وحينما يعرف الإنسان الله معرفة حدسية لا يملك إلا أن يحبه. وهذا هو ما يدعوه سبينوزا "الحب العقلي لله"، وإذا استبدلنا بالله الطبيعة أمكننا أن نقول ان سعادة الإنسان القصوى تقوم في معرفة الطبيعة ومعرفة قوانينها معرفة واضحة وكافية من منظورها الأزلي [٤١]. وهكذا فإن شكل النوع الثالث من المعرفة هو المثلث الذي يجمع أفكارنا التامة التي تكون فينا كما تكون في "الله" وفي الموجودات الأخرى [٤٢].

يقول سبينوزا في كتاب (الأخلاق) "**إن حب "الله" العقلي الذي ينشأ عن النوع الثالث من المعرفة، والذي ينشأ عنه فرح مصحوب بفكرة "الله" كعلة ليس من حيث تخيلنا له حاضراً، و إنما من حيث تخّيلنا له حاضراً، و إنما من حيث تصورنا له أزلياً**" [٤٣]، لذا فإن الحب العقلي "لله" إنما هو حب أزلي، ولا يوجد في الطبيعة أي شيء مناقض لهذا الحب العقلي، أي قادر على إبطاله. وهذا ما يؤكده سبينوزا في كتابه (رسالة الاصلاح) حينما يقول "**إنه سيكون أكمل المناهج إذا ما حصلت لدينا فكرة الكائن الأكمل**" [٤٤]. وهذا المنهج لم يجده الفيلسوف إلا في النوع الأخير من المعرفة.

لقد عدّ سبينوزا هذه المعرفة الأخيرة هي الكاملة، لأن موضوعاتها معانٍ واضحة متميزة يكّونها العقل بذاته ويؤلف ابتداءً منها سلسلة مرتبة من الحقائق، حيث تبدو الحقيقة الجزئية نتيجة لقانون كلي، ويبين العقل فاعليته وخصبه، واستقلاله عن الحواس والمخيلة [٤٥]. لتغدو المعرفة الحدسية سبيل الإنسان إلى الحصول على السعادة القصوى، بحيث تؤهله للتعالي على حدود الزمان والمكان وإدراك الأشياء في صورة الأزلية، ومن ثم الاتحاد "بالله" أو الطبيعة [٤٦] بما هي كل [٤٧]. ليكون هذا النوع الأخير من المعرفة "هو الضرب الوحيد الذي يُدرك ماهية الشيء التامة دونما خوف من الوقوع في الخطأ، وبالتالي فعلينا باستخدامه بوجه خاص" [٤٨].

وبهذا يمكن القول إن حياتنا العملية تابعة لحياتنا العقلية، وتختلف باختلافها، وفقا لمعطيات عدة، ولعل أولها إن غاية الأخلاق هو "الله" ومحبة "الله"، "فالخير الأسمى بالنسبة إلى النفس إنما هو معرفة الله، وأسمى فضائل النفس أن تعرف الله" [٤٩]. وما ذاك إلا لأن معرفة الدرجة الثالثة تمنح المرء الادراك الصحيح الذي يجب أن يطل منه على الكون، إنها تبرهن له على انه لا يوجد إلا جوهر واحد هو الجوهر الإلهي [٥٠]. ولعل هذا ما أظهر الحديث عن المعرفة الاسبينوزية بأن الحدس لديه قد يؤدي معنى الصوفية، بحجة انه مرحلة أعلى من العقل، أو تجاوزاً له [٥١]. فليس التقدم الأخلاقي ارتقاءً عبر درجات أو عبوراً لمسافة معينة، وإنما هو بمعنى

اكتشاف الذات لذاتها، وتحررها من الجهل، واهتدائها إلى الحقيقة ولا سيما ان الحقيقة، في نظر سبينوزا ليست غاية نسعى إلى بلوغها، بل نحن قائمون فيها لأننا قائمون في الوجود والواقع، أي في "الله" [٥٢].

إن النفس تكون سرمدية Eternal من حيث هي حاصلة على معرفة الحقائق السرمدية Eternal Facts، وكلما ازدادت معرفتنا ازداد حظها من الخلود، فإن الخير الوحيد الذي يدركه عقلنا والخير الخلقي ما أنمى العقل، والشر ما أنتقصه وأفسده [٥٣]، أما عن الاختلاف في أنواع المعرفة، فلا قطيعة على الأطلاق بين المعرفة من النوع الثاني مع المعرفة بالعلم الحدسي، أي لا خلاف في هذه الأنواع إلا من حيث الموضوعات لا في درجة اليقين، ذلك أن أنواع المعرفة هي أنواع برهانية، الواحد منها كما الآخر [٥٤]. وهذا ما يثبت رأي دولوز القائل: "**إن عرض سبينوزا لأنواع المعرفة يلحقه تغيير كبير عبر كل متنه، والسبب أن الوضع الأخير والأهم لنظرية المعاني المشتركة لن يتحقق إلا مع الأخلاق**" [٥٥].

المحور الثالث: من المعرفة إلى الفضيلة والغبطة:

مما تقدم يتبين لنا إن كتاب (الأخلاق) لم يشغل سبينوزا إلا بعد تأمل عميق في شروط اصلاح العقل، "**فعلم الأخلاق بذلك إنما هو تحقيق للمشروع الذي خططه الفيلسوف في الرسالة في اصلاح العقل**" [٥٦]. وانطلاقاً من ذلك، لم نجد من محوري البحث السابقين حداً فاصلاً بين البحث في الطبيعة من وجهها الشامل، وبين البحث في الإنسان. فذلك هو ما يختفي تماماً عند سبينوزا "**والدلالة الواضحة لبحثه موضوعات ميتافيزيقية رئيسة في كتاب الأخلاق**" [٥٧].

كذلك، فإن حديث سبينوزا عن (النفس) لا يعني اطلاقاً الوقوف على روحانيتها، بل على العكس، هي مرتبطة بالجسد كنتيجة طبيعية له، "ففكرة الجسد وقوة النفس إنما هي قوة التفكير والعقل معاً" [٥٨]، وعلى حد تعبير دكتورة سوسان: "فإن تفسيرات سبينوزا لطبيعة المعرفة الإنسانية بمستوياتها الثلاثة مرتبطة ضرورة بالبحث عن قواعد ناظمة لعمل العقل وهدايته لكي يجيد معرفة الأشياء ويرتقي بتصوراته وأفكاره من حالة الغموض وعدم الكفاية إلى حالة الوضوح للاهتداء إلى المعرفة الحقة" [٥٩].

يقول سبينوزا: "**لا يمكن أن يقال بإطلاق عن الإنسان الذي تدفعه أفكار غير تامة إلى القيام بشيء ما انه يسلك وفقاً للفضيلة، لكن يمكن قول ذلك إذا كانت تدفعه المعرفة**" [٦٠]. إذ أنه بذلك ينحصر دور الميتافيزيقا في البحث عن أسس الأخلاق، وكلما انصب اهتمامه على المباحث الطبيعية كان ذلك بقدر ما يقتضيه تأسيس الأخلاق لا غير [٦١]. والنتيجة إنه إذا كان سبينوزا قد ألف فضلا عن كتاب الأخلاق رسالتيه في السياسة وفي اللاهوت والسياسة، فالسبب هو انه يوجد أكثر من طريق للخلاص، يوجد طريق أول للخلاص (بالفلسفة) وهو في متناول الحكماء كتاب الأخلاق، وطريق ثانٍ يسلكه غير الحكماء، أما الخلاص (بالدين والعقيدة) إن كانوا من المؤمنين، وإما (بالسياسة المدنية) إن كانوا من غير المؤمنين، وهكذا يتحقق الخلاص للجميع، إلا أن سُبلهُ مختلفة [٦٢]. فطالما أن (الفضيلة Virtue) ترتبط (بالفهم Understanding)، فمن الطبيعي أن يزداد المرء اقتراباً منها كلما اتسع نطاق فهمه للأشياء حتى إذا ما توصل إلى تأمل النظام الكلي للأشياء في ضرورته الشاملة حقق بذلك أسمى ما يمكن أن يصل إليه إنسان من الفضائل، وأمكنه التغلّب تماماً على انفعالاته عن طريق ربطها بالضرورة الكونية الشاملة [٦٣].

لقد رفض سبينوزا كل تحليل للمعرفة يميز بين عنصري الفهم والارادة Will، فالمعرفة هي اثبات الفكرة لذاتها، إنها "شرح" أو بسط للفكرة تماماً كما تبسط ماهية ما ذاتها في خصائصها أو تعرض على كيانها في معلولاتها [٦٤]، ولذلك ربط القيمة الأخلاقية بالمعرفة، وبمعرفة "الله" أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم معرفة الانفعالات الأساسية للبشر، فالفضيلة معرفة صادقة، والرذيلة vice معرفة باطلة، وكلما زادت معرفتنا "بالله" زاد حُبنا العقلي له، واستطعنا أن ندرك ذاتنا وانفعالاتنا [٦٥]. وعلى حد تعبير دولوز "**هناك بالتأكيد فلسفة (للحياة) عند سبينوزا، انها تتجسد خاصة في فضح كل ما يمنعنا عن الحياة، فضح كل تلك القيم المتعالية التي تقف ضدها، هي القيم المرتبطة بشروط وأوهام وعينا، فحياتنا ملوثة بمقولات الذنب ... الخطيئة**

والاستغفار" [٦٦]، لذلك يقول سبينوزا عن (الفضيلة) بأنها "**تسمى كذلك لكونها متو افقة مع العقل، وعندما نقول ليس التذلل فضيلة، فذلك يعني ان التذلل لا يتولد من العقل**" [٦٧].

إن للأخلاق المتعلقة بالفضيلة عند سبينوزا صفة ملازمة لعنصري الحب والسعادة، في الأول يتحقق الحب العقلي "لله"، وفي الثاني تتحقق السكينة، لأن الفضيلة لا تجلب سوى السعادة، والشر لا يجلب سوى الحزن [٦٨]. أليس كل من يتفكر في "الله" يتفكر فيه بسرور، أليس "الله" هو المفتاح الذي يسهل إدراك كل شيء، أليس هو هو أعظم اللذات العقلية الباهرة؟ وكيف إذن بتفكرنا في الله هكذا، لا نحبه بكل روحنا، ألسنا نحب كل موضوع تحمل الفكرة إلينا منه سروراً؟ ثم أليست اللذة التي تقارن في نفوسنا فكرة "الله" هي أعظم اللذات قاطبة؟ [٦٩].

أسئلة أخرى ربما تراودنا فيما يتعلق بذات الصلة، هل يمكن الاعتراف بأن الأخلاق عند سبينوزا تتجه إلى القلة لا على الكثرة، على اعتبار اعتراف الفيلسوف أن من طبيعة الإنسان فرض شروطاً للأخلاقية لا يصل إليها إلا القليلون؟ [٧٠]. والحقيقة إن اجابة فلسفة سبينوزا عن ذلك تتضمن أن "**الخير الحقيقي شيء لا يقتسم ولا يوزع، ولا يتأثر بكثرة من يشاركون فيه، بل ان من الممكن أن يكون لكل شخص فيه أكبر نصيب. ذلك لأن هذا الخير لو كان مآلاً أو منصباً أو نفوذاً، لأدى التزاحم عليه إلى تفتيته على الدوام، بحيث ينبغي أن يشتد عليه التنافس والتشاحن بين الناس، طالما أن مقدار هذه الغايات محدد ولا يتسع للجميع**" [٧١].

وهكذا يستند مبدأ الايثار Altruism لسبينوزا الذي ينهض بتمجيد الحياة الاجتماعية في ظل العقل على امكان قيام اجتماع بين العقول يتأسس على تنازل هذه العقول عن جزء من امتيازها وتفوقها [٧٢]. وفي ذلك رد آخر لسبينوزا على من دأبوا على الربط بين الفردية والتفلسف. وإذا كان ديكارت قد اشتهر بالقول إن العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس، فإن سبينوزا يضيف إلى ذلك أن السلوك لا يعدو وفقاً للفضيلة تماماً إلا أن يكون سلوك المرء وعيشه وفقاً لما يمليه العقل [٧٣]. من هنا "**فليست الغبطة جزاء الفضيلة، بل هي الفضيلة عينها**"، فسبينوزا يعتقد ان الاصلاح يبدأ في الدنيا قبل الآخرة، وان النفس الإنسانية تكون مستقرة لا حينما تكبح الشهوات بل على العكس، إن انشراح الصدر هو ما يسمح بكبح شهواتنا [٧٤].

لذلك فإن العاطفة Emotion لا تظل عاطفة إذا ما تكونت في الذهن عنها فكرة واضحة جلية، وكلما استطاع المرء أن يحوّل ما فيه من عواطف إلى أفكار كلما صار أقوى وأبعد على أن تؤثر عليه العواطف الجامحة [٧٥]. وعليه تكون جميع الشهوات عواطف فقط ما دامت تقوم على أفكار سديدة أو مناسبة، وتتحول هذه العواطف إلى فضائل عندما تتولد عن أفكار سديدة، كذلك فإن شهوة الإنسان إن كان مصدرها الذات تولّدت عنه فكرة مبهمة ناقصة غدت (عاطفة)، أما إذا نشأت عن فكرة مضبوطة واضحة كانت فضيلة محمودة [٧٦]. ليبقى من أكثر خواص العقل شمولية بالنسبة لسبينوزا، انه يكّون الأفكار الايجابية قبل السلبية [٧٧].

لنختم الحديث عن السعادة والفضيلة، بما قاله اندريه كريسون عن الفيلسوف "**إنه لمن المؤكد أن ليس من أجل الزهد في كل ميتافيزيقا أسس سبينوزا (أخلاقهُ) على تلك الصورة التي اختارها. ولكنه حقًا، أصدر على الميتافيزيقا المسيحية حكمًا صارمًا**" [٧٨].

الاستنتاجات:

١. يمكن اختصار أنواع المعرفة التي وقف عليها سبينوزا إلى أنماط ثلاثة هي (الظن) (والاعتقاد) (والمعرفة الواضحة). الأولى أصل الانفعالات المخالفة للعقل، والثانية أصل الرغبات الطيبة، والثالثة أصل الحب الحقيقي. "**فالرذيلة معرفة باطلة أو ظن معرض للخطأ، والفضيلة معرفة صحيحة**".

٢. إن حقيقة ما سعى إليه سبينوزا في مشروعي مؤلفيه رسالة في اصلاح العقل وفصول كتاب الأخلاق، إنما هو ارشاد الإنسان إلى سُبل الخلاص في الدنيا قبل الآخرة، فالسعادة أو الغبطة ليست جزاء الفضيلة، وإنما هي الفضيلة نفسها.

٣. يؤخذ على سبينوزا انه أقحم الحياة العملية ومشكلات أصيلة في حياة الإنسان بجزئية الحوادث وربط عالم الانفعالات بما فيه من قيم بشرية بطبيعة الأشياء. إلا أن المشروع السبينوزي لا يتمثل في تعويض حياة الوجدان والعاطفة بالحياة العقلية، بقدر ما يتمثل في تنضيد الحياة العقلية فوق حياة الوجدان والعاطفة بل في تحويل الحياة العاطفية إلى نطاق العقل.

٤. لم يربط سبينوزا المبدأ الأخلاقي بالطبيعة من وجهة نظر حتمية، ولم يجزم بذلك في القول بانعدام الحرية لارتباط الإنسان بالظواهر الطبيعية وقوانينها، بدليل أن الأخلاق تسير لديه مع فكرته فيما بعد الطبيعة، فكما ان العقل في الميتافيزيقا يحاول أن يدرك القانون الكامن وراء الأشياء الجزئية اتي تقع تحت الحس فهو يقرر **"أن العقل يجب أن يضع قانوناً ينظم رغبات الإنسان المتنافرة"**.

٥. إن طريقة سبينوزا في قهر الانفعالات بوساطة العقل يعيد إلى الأذهان تأكيد بعض المدارس الأخلاقية اليونانية ما بعد أرسطو في سعي الإنسان إلى التغلّب على انفعالاته لتحقيق أو اكتساب المعاني الاجتماعية في نفس الإنسان **"فالعقل هو أساس الاتفاق بين الناس"**.

٦. المجمل في القول عن السعادة عند سبينوزا: انه لا مبدأ في فضيلة الذات إلا بالعقل، والرضا غاية الإنسان الحكيم، لتكون النتيجة إن كل ما يعمله الإنسان ويكون مبنياً على أساس من العقل والتفكير لا على المشاعر والعواطف فهو عمل فاضل.

الهوامش:

(١) سبينوزا، باروخ: رسالة في اصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٠، ص ٦٢.

(٢) صاحبي، ربابه عباسي وآخران، بحث (ابستمولوجيا الذات في المثنوى من منظور منهج سبينوزا الميتا ديكارتي)، مجلة اضاءات نقدية، العدد (٣٥)، السنة التاسعة، ٢٠١٩، ص ٩١.

(٣) عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣، ص١٤٧.

(٤) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٦، ص١٠١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٦) متى، كريم: الفلسفة الحديثة "عرض نقدي"، منشورات جامعة بنغازي، كلية الآداب، ١٩٧٤، ص ١٢١.

(٧) سعيد، جلال الدين: سبينوزا والكتاب المقدس - الدين والأخلاق والسياسة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب - الرباط، ط١، ٢٠١٧، ص ١١٤.

(٨) زكريا، فؤاد: اسبينوزا، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، بلا ط، ٢٠١٧، ص٢١٣.

(٩) كريسون، اندريه: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود وآخر، مطابع دار الشعب - القاهرة، بلا ط، ١٩٧٩، ص ١٦٩.

(١٠) دولوز، جيل: سبينوزا "فلسفة عملية"، ترجمة: عادل حدجامي، دار توبقال للنشر، المغرب - الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥، ص٧٢-٧٣.

(١١) المصدر نفسه، ص٧٦.

(١٢) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٦.

(١٣) زكريا، فؤاد: اسبينوزا، ص ٢١٩.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢١٠.

(١٧) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٠٦.

(١٨) سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ص ٢٩٦.

(١٩) مورو، فرانسو، وبيار: سبينوزا والإسبينوزية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان - بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ١١٩.

(٢٠) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٧.

(٢١) سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، مرجعة. جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٦١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

(٢٣) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٥.

(٢٤) سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ص ٣٥١.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

(٢٦) مورو: سبينوزا والاسبينوزية، ص ١٢٠.

(٢٧) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٧.

(٢٨) سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ص ٢٩٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٣١٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

(٣١) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٧٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣٣) الياس، سوسان: بحث (درجات المعرفة عند سبينوزا)، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٢، العدد الأول، ٢٠١٦، ص ٢١٩.

(٣٤) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٠٦.

(٣٥) متى، كريم: الفلسفة الحديثة: ص ٩٥.

(٣٦) كرم، يوسف: المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٣٧) متى، كريم: المصدر السابق، ص ٩٥.

(٣٨) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٧٣.

(٣٩) سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ص ٣٣٨.

(٤٠) كرم، يوسف: المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٤١) متى، كريم: المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٤٢) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٧٣.

(٤٣) سبينوزا: الأخلاق، ص ٣٤١.
(٤٤) سبينوزا، باروخ: رسالة في اصلاح العقل، ص ٤١.
(٤٥) كرم، يوسف: المصدر السابق، ص ١٠٢.
(٤٦) لأن الله والطبيعة شيء واحد، أو ان الطبيعة من حيث هي كل وفقا لوحدة الوجود الاسبينوزية، لذا "كلما ازداد فهمنا للأشياء الجزئية، ازداد فهمنا للذات الالهية. ينظر: (سبينوزا، الأخلاق، ص ٢٧٦).
(٤٧) متى، كريم: المصدر السابق، ص ١٢٢.
(٤٨) سبينوزا: الأخلاق، ص ٣٣٦.
(٤٩) المصدر نفسه: ص ٢٥٥.
(٥٠) كريسون، اندريه: المشكلة الأخلاقية، ص ٢١١.
(٥١) سوسان: درجات المعرفة عند سبينوزا، ص ٢٣٤.
(٥٢) سعيد، جلال الدين سبينوزا والكتاب المقدس، ص ١١٨.
(٥٣) كرم، يوسف: المصدر السابق، ص ١٠٧.
(٥٤) مورو: سبينوزا والاسبينوزية، ص ١٢٤.
(٥٥) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٧٤.
(٥٦) سبينوزا: الأخلاق، (مقدمة المترجم)، ص ١٥.
(٥٧) فؤاد، زكريا: اسبينوزا، ص ٢٠٤.
(٥٨) سوسان، الياس: درجات المعرفة عند سبينوزا، ص ٢٢١.
(٥٩) المصدر نفسه: ص ٢٣٤-٢٣٥.
(٦٠) سبينوزا: الأخلاق، ص ٢٥٢.
(٦١) المصدر نفسه: (مقدمة المترجم)، ص ١٩.
(٦٢) جلال الدين سعيد، سبينوزا والكتاب المقدس، ص ١٢٠-١٢١.
(٦٣) مسيكة، محمد، ولعموري، شهيدة: بحث (القيمة الأخلاقية بين الحرية والضرورة عند باروخ سبينوزا)، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد ٨، العدد ١، ٢٠٢١، ص١٥٩.
(٦٤) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٧٢.
(٦٥) محمد مسيكة وآخر، القيمة الأخلاقية، ص ١٦١.
(٦٦) دولوز، جيل: سبينوزا، ص ٣٧.
(٦٧) سبينوزا: الأخلاق، ص ٢٧٩.
(٦٨) المصدر نفسه: ص311 .
(٦٩) كريسون، اندريه: المشكلة الأخلاقية، ص ٢١٤.
(٧٠) فؤاد، زكريا: اسبينوزا، ص ٢٢٦.
(٧١) محمد مسيكة وآخر، القيمة الأخلاقية، ص ١٦٠.
(٧٢) فؤاد، زكريا: اسبينوزا، ص ٢٠٤.
(٧٣) سبينوزا: الأخلاق، ص ٢٥٣.
(٧٤) المصدر نفسه: ص ٣٥٠.
(٧٥) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٦.
(٧٦) كامل عويضة: سبينوزا، ص ١١٦.
(٧٧) سبينوزا: اصلاح العقل، ص ٦١.
(٧٨) كريسون، اندريه: المشكلة الأخلاقية، ص ٢١٤.

المصادر والمراجع:

دولوز، جيل: سبينوزا "فلسفة عملية"، ترجمة: عادل حدجامي، دار توبقال للنشر، المغرب- الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٥.

زكريا، فؤاد: اسبينوزا، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، بلا ط، ٢٠١٧.

سعيد، جلال الدين: سبينوزا والكتاب المقدس – الدين والأخلاق والسياسة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب - الرباط، ط١، ٢٠١٧.

سبينوزا، باروخ: الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، مرجعة. جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩.

سبينوزا، باروخ: رسالة في اصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٠.

عويضة، الشيخ كامل محمد محمد، باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣.

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٦.

كريسون، اندريه: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود وآخر، مطابع دار الشعب - القاهرة، بلا ط، ١٩٧٩.

متّى، كريم: الفلسفة الحديثة "عرض نقدي"، منشورات جامعة بنغازي، كلية الآداب، ١٩٧٤.

مورو، فرانسو، وبيار: سبينوزا والإسبينوزية، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

الياس، سوسان: بحث (درجات المعرفة عند سبينوزا)، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٢، العدد الأول، ٢٠١٦.

صاحبي، ربابه عباسى وآخران، بحث (ابستمولوجيا الذات في المثنوى من منظور منهج سبينوزا الميتا ديكارتي)، مجلة اضاءات نقدية، العدد (٣٥)، السنة التاسعة، ٢٠١٩.

مسيكة، محمد، ولعموري، شهيدة: بحث (القيمة الأخلاقية بين الحرية والضرورة عند باروخ سبينوزا)، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد ٨، العدد ١، سنة ٢٠٢١.

Resources and References:

Deleuze, Gilles: Spinoza "Practical Philosophy", translated by: Adel Hadjami, Toubkal Publishing House, Morocco - Casablanca, 1st edition, 2015.

Zakaria, Fouad: Espinosa, Hindawi CIC Foundation, UK, No Edition, 2017.

Said, Jalal al-Din: Spinoza and the Bible - Religion, Ethics and Politics, Believers Without Borders Foundation for Studies and Research, Morocco - Rabat, 1st edition, 2017.

Spinoza, Baruch: Ethics, translated by: Jalal al-Din Saeed, reference. George Katoura, Arab Organization for Translation - Center for Arab Unity Studies, 1st edition, 2009.

Spinoza, Baruch: A Treatise on the Reformation of the Mind, translated by: Jalal al-Din Saeed, Dar al-Janoub Publishing House, Tunisia, 1990.

Awaida, Sheikh Kamel Muhammad Muhammad, Baruch Spinoza, the New Philosopher of Logic, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1993.

Karam, Youssef, The History of Modern Philosophy, Afaq Publishing and Distribution, Cairo, 1st edition, 2016.

Cresson, Andre: The moral problem and the philosophers, translated by: Abdel Halim Mahmoud and others, Dar Al-Shaab Press - Cairo, Bala Edition, 1979.

Matta, Karim: Modern Philosophy "Critical View", University of Benghazi Publications, Faculty of Arts, 1974.

Moreau, François, and Pierre: Spinoza and Spinozism, translated by: George Katoura, New United Book House, Lebanon - Beirut, 1st edition, 2008.

Elias, Sousan: Research (Degrees of Knowledge according to Spinoza), Damascus University Journal, Volume 32, First Issue, 2016.

My friend, Rababa Abbasi and others, research (The Epistemology of the Self in the Dual from the Perspective of Spinoza's Meta-Cartesian Method), Critical Illuminations Magazine, Issue (35), Ninth Year, 2019.

Msika, Muhammad, and Lammouri, Shahida: Research (The Moral Value between Freedom and Necessity according to Baruch Spinoza), Al-Mohtaharr Journal for Sports Sciences, Humanities and Social Sciences, Algeria, Volume 8, Issue 1, year 2021.